

دور الشناقطة في نشر الإسلام بالغرب الإفريقي دعوة الإمام ناصر الدين في ق 17م نموذجاً

د.بوها ولد مُحَمَّد عبد الله سيدي

أستاذ بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية

bouha.sidi@gmail.com

شهدت العلوم العربية والإسلامية بدءاً من الحرم النبوي تطوراً على مستويات كثيرة فأصبحت لها مراكز عديدة في الشام ومصر وبلاد إفريقية والمغرب، فنشأت بها جوامع وجامعات عرفت بإشعاعها العلمي، لتظهر بعد ذلك مراكز علمية متنقلة في صحراء المثلثين، سيكون لها الدور البارز في نشر هذه المعارف في منطقة حوض النهر ويصل صداها إلى أقصى مناطق الغرب الإفريقي¹. فقد تجشم علماء شنقيط مشاق الأسفار واقتحموا مخاطر الفلوات وأنفقوا من وقتهم وجهدهم ومالهم وعلمهم بكل سخاء، سبيلاً لنشر الإسلام.

جاءت بدية انطلاقة الحركة العلمية الشنقيطية في القرن السابع عشر لتستمر في إشعاعها حتى بلغ أوجه خلال القرن التاسع عشر، حيث تميز العلماء الشناقطة بنزعة موسوعية فهم في ذات الوقت فقهاء، وأدباء، يدرسون علوم القرآن والحديث والفقه واللغة العربية². وقد شهدت المنطقة خلال القرنين 17 و18م صراعاً محتدماً بين القبائل العربية الوافدة والقبائل الصنهاجية في البلاد، وفي الجوار شهدت المنطقة صراعات بين الممالك السودانية والوثنية، كما زاد التواجد الفرنسي من إذكاء نار هذه الصراعات، حيث تصاعدت أطماعه في المنطقة للاستحواذ على تجارة الصمغ والرقيق منافسين بذلك القوى الأوروبية الأخرى.

وفي هذا الظرف المتسم بالصراع السياسي والتنافس الاقتصادي والتوتر الاجتماعي كانت المنطقة في أمس الحاج إلى رجل رشيد يجدد للناس أمر دينهم ويزيل الأغلال من أعناقهم ويحررهم من مستعبدتهم وينصر المظلوم، ويدعو الناس إلى عبادة رب العباد بدل عبادة العباد، فكانت قبائل الزوايا تشكو من بطش ونهب القبائل الحسانية، ما دفعها إلى التوحد لإقامة دولة إسلامية في مواجهة اضطهاد القبائل الحسانية³. فتصدر لهذا الأمر أوبك ابن أجهم الشمشوي

¹:بلاد شنقيط المنارة والرباط، الخليل النحوي، ص:48 1987

²:موريتانيا وإشعاعها الفكري والروحي ضمن الفضائين الإفريقي والعربي، محمد الأمين
3: " الوقت نفسه حاول الزوايا ()، إقامة دولة لهم في القرن الحادي عشر بقيادة () بن أبهم، الملقب ناصر الدين، الذي نهض حوالي عام 1045هـ، وبإيعته قبائل الجنوب وعمل على نشر الإسلام، ودخول السودان الغربي وتصدى للمؤسسات الاستعمارية الصليبية التي أخذت تنتشر وخاصة الفرنسية منها وقد ألغى الرقيق وحاول إخضاع القبائل العربية المحاربة.....فحدثت حرب أهلية قتل فيها ناصر الدين عام 1085هـ، وفشلت محاولة الزوايا، وتعزز موقف الإمارات الحسانية والصنهاجية التاريخ الإسلامي(التاريخ المعاصر بلاد المغرب)، محمود شاكر، المكتبة الإسلامية،ص:475 14 2 1996.

(ت1676)، والذي تلقب بعدة ألقاب أشهرها الإمام ناصر الدين، وأسس حركة دينية سميت بحركة التوبة أو حركة ناصر الدين التي ظهرت في الجنوب الغربي لموريتانيا لتكتسح مناطق شاسعة : شمامة وفوتاتورو وجولف و الو. وتتميز حركة ناصر الدين بكونها ذات نزعة سلفية تقوم على الصوفية الباطنة نتيجة محيطها الذي احتضنها والذي تنشط قبائله في نشر العلوم العربية والإسلامية وكذلك الطرق الصوفية.⁴

وقد سقطت دولة ناصر الدين بتكاتف جهود القبائل المغربية في شنقيط من جهة والملوك الوثنيين الذين أطاحت بهم حركة ناصر الدين من جهة أخرى، و بدعم ومتابعة من الإدارة الفرنسية التي صنفت فكر ناصر الدين خطرا على مصالحها، ومع ذلك فقد حققت الحركة نتائج تذكر منها إحياء فريضة الجهاد ونشر الإسلام الصحيح ، وإعادة روابط التواصل بين شعوب الغرب الإفريقي و بلاد شنقيط ومن خلالها إلى الحواضر العلمية الأخرى : كتونس(القيروان)،و فاس (القرويين) و ومكناس وسجلماسة وتارودانت ومراكش، وتلمسان إلى غيرها من الحواضر العلمية. وبعد سقوطها ركزت قبائل الزوايا - الداعمة للحركة- جهودها على الحفاظ على التراث العربي والإسلامي والعمل الدعوي، ف"إلغاء الحيار العسكري لم يترك قبائل الزوايا مكتوفي الأيدي بل إنها قد نشطت في ميدانين مرتبطين بالثقافة العربية والإسلامية والتصوف الطريقي. فازدهرت في هذه الصحراء الشنقيطية علوم الشرع الإسلامي واللغة العربية ازدهارا كبيرا وأصبحت الطرق الصوفية مؤسسات فكرية واقتصادية ذات إشعاع عظيم"⁵.

وهكذا فقد لعبت الزوايا الصوفية أدوارا كبيرة في حياة المجتمع الشنقيطي حيث نجحت على مستويات عدة نظرا لما تمتلكه من دور رسالي بأبعاده الروحية والعلمية والإصلاحية، كما أنها شكلت النواة التنظيمية العابرة للقبائل والمناطق في مجتمع "السيبة" الذي لم يعرف الدولة، واستطاعت أن توصل خطابها إلى مناطق كثيرة من الغرب الإفريقي.

أولا: تصدر العلماء لنشر الإسلام:

أعادت حركة ناصر الدين جسور التواصل بين شنقيط وشعوب الغرب الإفريقي لما تركته من أثر عميق في نفوس هذه الشعوب على مستويات عدة : منها المستوى العقدي والسلوكي، تجلّى ذلك في إخراجها من ظلمات الجهل والوهم إلى نور الفهم والمعرفة بربط الجماهير بكتاب الله وسنة نبيه، وتربية نفوسهم بالصبر على الطاعات والزهد في الدنيا من خلال منهج تربوي ظهر جليا منذ التأسيس كما يشير إلى ذلك مُجدّ اليدالي، وهذا البعد التربوي سيتطور مع قبائل الزوايا الداعمة لناصر الدين بعد سقوط دولتهم، حيث ستنشغل بنشر العلوم الإسلامية والطرق الصوفية.

وقد تصدر أقطاب العلماء الشناقطة تيار الدعوة والتعليم ونشر الطرق الصوفية في الربوع الإفريقية وليستمر عطاؤهم العلمي والروحي حتى بلغ أوجه. وفي هذا السياق يقول الباحث مُجدّ الأمين ولد الكتاب "من تجليات الإشعاع الفكري

4: موريتانيا وإشعاعها الفكري والروحي ضمن الفضائين الإفريقي والعربي، مجد الأمين ولد الكتاب، مجلة التسامح ع:28 2010 209.

5: حركة الإمام ناصر الدين ومنزلتها من تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا، جمال ولد الحسن، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة

والروحي للشناقطة على منطقة السودان الغربي والذي دشنت حركة ناصر الدين بدايات حلقات تواصله، هو إدخال ونشر الطرق الصوفية في تلك الربوع حيث انتشرت الطرق القادرية على يد الشيخ سيدي المختار الكنتي وأبنائه وتلميذه الشيخ سيديا وعلى يد الشيخ محمد فاضل بن مامين وأبنائه فانتشرت على نطاق واسع في السنغال ومالي ونايجيريا والكاميرون. وانتشرت الطريقة التجانية على يد الشيخ محمد الحافظ بن المختار بن حبيب ثم على يد الشيخ حماد الله بن سيدنا عمر وعلى يد الشيخ المجاهد عمر بن سعيد الفوتي (ت 1864)، كما ساهمت في نشرها بعد ذلك أسرة ابراهيم الشيخ أنياص والحاج مالك سي⁶.

I- فكر الإمام ناصر الدين:

لم يترك الإمام ناصر الدين مؤلفا ولا وثيقة مباشرة عنه تبرز أسس فكر وأسرار حركته، بل إن كل المراجع التي تطرقت له تعتمد على ثلاث مصادر أولها رسالة لفقيه من مدينة ولانة ينتقد من خلالها ناصر الدين حيث يقول: "من طلبه البادية خليقا بأن ينكر عليه لتعرضه للغيب الذي أستأثر الله به، لاطراحه مراجعة كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والسلف الصالح واستغنائهم في الأحكام بما زعم أنه تلقاه من الخضر عليه السلام ولتعرضه للفتن بين المسلمين"⁷، ورغم أن الفقيه الولائي قد عاصره إلا أن له موقفا عدائيا واضحا من الرجل ولم تقدم رسالته سوى معلومات يسيرة. أما المصدر الثاني فمؤلفه الإداري فرنسي شامبونو من معاصري ناصر الدين ويشترك مع الولائي في العداء له، لكن هذا الأخير يتطرق إلى جوانب مهمة تكشف بعض مواقفه، حيث رأى فيه: "رجل دين مشاغبا افسد بلاده وأقنع شعوب الممالك المجاورة بالثورة على ملوكها والخضوع لنفوذه تحت ستار الدين والحرية وشكل بذلك خطرا جسيما على المصالح التجارية الفرنسية في حوض نهر السنغال"⁸.

أما المصدر الثالث: محمد اليدالي وموقفه على النقيض من سابقه وعنوانه: "أمر الولي ناصر الدين"، حيث رأى في الرجل وليا كاملا جمع علوم الأولين والآخرين، أحيى السنة وأمات البدعة وكشف له عن محجبات الغيوب. وقد ركز محمد اليدالي في تأليفه هذا على ذكر مناقب وكرامات ناصر الدين، وموقفه من الرق والتجارة مع الفرنسيين وكيف حول ممالك السودان الوثنية إلى ممالك مسلمة.⁹

وهنا ندرك أن كل المصادر التي تطرقت لحركة ناصر الدين تعتمد بالأساس على ما كتبه: شامبونو ومحمد اليدالي دون وثيقة الفقيه الولائي لقلّة ما اشتملت عليه من معلومات والتي يقتصر توظيفها على ميدان الاستنتاج التاريخي.

⁶: موريتانيا واشعاعها الفكري و الروحي ضمن الفضائين الإفريقي والعربي 211:

⁷: حركة الإمام ناصر الدين ومنزلتها..... 2:

⁸: "أمر الولي ناصر الدين" نقلا عن حركة الإمام ناصر الدين ومنزلتها من تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا، جمال ولد

⁹: حركة الإمام ناصر الدين ومنزلتها من تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا، جمال ولد الحسن، ص:7.

وتعتمد حركة ناصر المذهب المالكي والتصوف الباطني؟ حيث رأت في هذا الأخير تهديدا للسلوك وتزكية للنفوس وهو ما جعل الحركة تعتمد في دعوتها على الجماهير وتتخذ من عامة الناس قاعدة لنشر دعوتها، فتعلمهم مبادئ الدين وتزيل عنهم البدع والمعتقدات الفاسدة، وتدعوهم إلى التحرر من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد. وقد حققت بذلك فتحا كبيرا حتى صارت المرجع الفكري والمنبع الروحي والحاضنة التنظيمية التي انطلقت منها حركات الجهاد الإسلامي الكبرى في غرب إفريقيا والتي في مقدمتها حركة الإمام سليمان بال في فوتا تورو والإمام مالك سي في فوتا بندو والشيخ عثمان دان فوديو في بلاد الهوسا والشيخ أحمد لبو في بلاد ماسنا والحاج عمر الفوتي في بلاد فوتا.¹⁰

وقد أخذت قيادات هذه الحركات توجهها الفكري وبعدها الروحي من بلاد شنقيط، فمنهم من ينتسب إلى سكانها كالإمام مالك سي، ومنهم من زارها و تلقى دراسته على بعض مشايخها كالإمام سليمان بال والإمام عبد القادر كن، ومنهم تربطه صلة تلمذة علمية فكرية قوية بمشايخ البلاد بواسطة كالشيخ عثمان دان فوديو والشيخ أحمد لبو و وكانا تلميذين للشيخ سيد المختار الكنتي بواسطة ألفا نوح بن طاهر.¹¹

كما ناصرت الزوايا الشنقيطية الجهاد في بلاد السودان، يقول الشيخ سيديا في أرجوزة يمدح آل عثمان دان فوديو:

رددت فرضا له جموح إذ عاق عنه العجز والطموح

في إشارة إلى سقوط دولة ناصر الدين ووأد حلم الزوايا في قيام دولة إسلامية.

أما عن شخصية ناصر الدين فيصف المستشرق الفرنسي (بول مارتني) بقوله: يمتاز بدمائة الأخلاق ونبل الطبع وحسن السلوك... ويكثر التعبد، وله جانب من التصوف وله قدرة على تأليف الأوراد كما هو الحال عند مشايخ الزوايا، وقد استطاع من خلال سمعته الواسعة جذب المرضى والمجانين للعلاج عنده بالأوراد كما يشيد بعدله، ويجزم أن عدله في قومه هو مصدر حب الجميع لشخصيته، والرأفة التي يعامل بها الجميع.¹² و يختصر (بول مارتني) فكر حركة ناصر الدين بالقول إنهما: حركة سياسية إسلامية تقليدية، تحكم بوجود إعطاء الزكاة.¹³

وأما عن حاضنته فقد استطاع ناصر الدين بحكمة أن يجمع حوله قبائل الزوايا في الجنوب الموريتاني في وقت وجيز يقول محمد اليدالي: "إن أكبر آيات ناصر الدين ﷺ وكراماته إقبال الناس إليه من كل وجه بدويهم وحضرهم وأعرابهم وعجمهم..."¹⁴.

¹⁰: الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا القرنين 17 18، عبد الله عيسى، مجلة البيان، ع:336 2015.

¹¹: موريتانيا ودورها في نشر الإسلام جمال ولد الحسن مقال منشور :

¹²: L'émirat des Trarza p :39

¹³: L'émirat des Trarza p :44

¹⁴:أمر الولي ناصر الدين محمد اليدالي ص:10.

وبعد أن اجتمع الزوايا ومن والاهم حوله نظم الناس وانطلق في التوسع، متخذاً منهم الوزراء والقضاة وسعاة الزكاة وأرسل الرسل إلى ملوك الضفة يدعومهم فيها "أن يتوبوا إلى الله ويكثروا من الصلاة ويطيئوها، وأن لا يزيدوا على أربع نساء، وأن يطردوا المغنين والمهرجين وأصحاب المجون، وأعلمهم أن الله لا يبيح لهم أموال رعاياهم وأن لا يقتلوهم أو يتخذوهم عبيداً"¹⁵.

ثالثاً: موقف الإدارة الاستعمارية:

عملت الإدارة الاستعمارية بشيء من التوجس والحذر في التعاطي مع الطرق الصوفية، وذلك نتيجة لما لقيته من مقاومة وثورات قادها بعض المصحلين في مختلف بلدان المغرب، مع وجود الفارق بين شنقيط والحواضر الإسلامية الأخرى التي عرفت مستوى كبيراً من التمدن وقيام الدولة قبل الاستعمار. حيث لم يغب عن أعين الإدارة الاستعمارية الأدوار التي لعبها العلماء الشناقطة في نشر الإسلام وحفظ الثقافة العربية والإسلامية. ويطلعنا المستكشف الفرنسي مولين Mollien على الدور الذي لعبه الشناقطة الرحالة في غرب إفريقيا من نشر للإسلام، وتشبثهم "العجيب" واستحضارهم للرسالة الإسلامية في حلهم وترحالهم. فكانوا علماء ودعاة وتجاراً، في الصحراء وفي غرب إفريقيا، حيث مارسوا التجارة للكسب الدنيوي والدعوة لزيد الآخرة، فعلموا الناس اللغة والدين والثقافة الإسلامية. يقول مولين إن الأفارقة استفادوا من الدين حتى أثار عقولهم وأخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة. بل إنه يخبرنا أن الإسلام عم كل المناطق التي زارها ونور عقول أهلها.¹⁶ ومن هؤلاء العلماء مشايخ الطرق الصوفية الذين أقتصر نشاطهم على نشر الإسلام والطرق التي اكتسبوا عن مشايخ كبار عرف عنهم الزهد والورع والتقوى.

ويواصل مولين Mollien، حيث يطلعنا على المناطق التي وصلتها دعوة هذه الزوايا وما لعبته من محاربة للتنصير، إذ كان التجار الشناقطة يتنقلون بزواياهم ومحاضرهم حيثما حلوا وارتحلوا دون أن تمنعهم المهن التي يمارسونها، من نشر للإسلام في أصقاع لم تكن لتصلها في تلك الفترة، وأنقذوها من خطر التبشير المحدث، حتى نافسوا المبشرين المسيحيين في غرب إفريقيا، (فيقول بأن المبشرين المسيحيين في رأس الرجاء الصالح لن يصلوا إلى مناطق وسط إفريقيا إلا بعد أن يكون الإسلام قد تمكن في تلك الربوع بفعل دعوة العلماء الشناقطة¹⁷)، قد يكون في الأمر مبالغة لكن ما يفهم من كلامه هو إنزعاج وتضايق من الدور الحيوي والنشاط البارز لتلك المؤسسات الدينية.

¹⁵ : Chanbonneau.338/

حركة الإمام ناصر الدين ومنزلتها من تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا ص:

¹⁶:Mollien (Gaspard-Théodore), voyage dans Le Soudan Occidental ,op.cit ,T :1.P :V .ij

¹⁷ :Mollien, Voyage dans l'intérieur de l'afrique

نقلا عن مجتمع البيضان في القرن التاسع عشر قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، سابق، ص:300،

هذا النشاط دفع الإدارة الفرنسية إلى اعتقال الشيخ أحمد بن حبيب¹⁸ الله أحد مشائخ القادرية في غرب إفريقيا، حيث اعتقلته تسع سنين، في جهات شتى من إفريقيا، ثم أعادته إلى موريتانيا سنة 1321هـ ليتمكن بعد ذلك من الخروج إلى السنغال، وبها توفي سنة 1340هـ. كما دخل الشيخ حماه الله¹⁹ في مواجهة مع الفرنسيين، ونفوه في عدة مناطق داخل البلاد وخارجها²⁰.

كما كانت السلطات الفرنسية بالمرصاد للدعاة الشناقطة كثر أمثال الشيخ محمد هادي²¹، الذي خرج من المناطق الشرقية للبلاد الموريتانية متوجها إلى غينيا حيث حل بقرية سانديا وظل بها يدعو للإسلام حتى أعتقل من الجهات الاستعمارية في 1912²². ولم يقتصر التضيق على الشناقطة فحسب بل شمل علماء آخرين منهم من ربطته صلة تلمذة بهم كالشريف سيدي محمد حيدرة²³ الذي أجلته من بلاد ديولا الوثنيين بسبب نشاطه الدعوي هناك²⁴.

كل هذا المتابعات والمطاردات جاءت نتيجة تضرر التجارة الفرنسية منطقة حوض النهر بفعل سياسة ناصر الدين، الذي منع بيع الرقيق ووضع ضوابط للتجارة مع الأوروبيين تضمن الاحترام والمصلحة المتبادلة، ما دفع أعداء دولة ناصر الدين إلى تشكيل حلف ضم التجار الفرنسيين والملوك الوثنيين المخلوعين في الممالك السودانية مع القبائل الحسانية في موريتانيا، لينفجر الصراع على الضفة الشمالية بين الإمام ناصر الدين والمغفرة وفي موقعة ترتلاس بالذات استشهد ناصر الدين رغم انتصار جيشه حيث شارك في القتال بنفسه، وهو ما انعكس سلبا على دولته بشكل عام كان ذلك في 1676. ومع ذلك فقد تركت حركته الأثر البالغ في نفوس سكان المنطقة فلم تسقط حركة ناصر الدين إلا بعد أن زرعت الرغبة في التحرر والانعتاق وقوت الوعي الديني²⁵ " 25

رابعا: أبرز خصائص هذه الحركة:

¹⁸: يلقب ب: " " و ينتسب إلى فرع القادرية المسمى البكائية، بين التصوف والسلفية في بلاد شنقيط (موريتانيا).
/ الهادي بن محمد المختار النحوي.
emjad.net :

¹⁹: شيخ الطريقة الحموية التيجانية
²⁰:

²¹: أحد الدعاة الشناقطة الذين اشتهروا في الغرب الإفريقي.

²²: الوثائق الوطنية ملف E2/44. النحوي ص: 343

²³: تلقى تعاليم الدين الإسلامي على يد الدعاة الشناقطة.

²⁴: بلاد شنقيط المنارة والرباط، النحوي 343.

²⁵: موريتانيا وإشعاعها الفكري والروحي ضمن الفضائين الإفريقي والعربي، ص: 210-211

إحياء فريضة الجهاد لأول مرة منذ عهد المرابطين بعد قرون من الفراغ السياسي. وإن كان قد لقي معارضة من بعض الفقهاء لما لأهل هذه البلاد من طول عهد بالإسلام المجاهد وخوفا من الفتن التي تنجر من هتام رجال الدين بالشؤون السياسية وتدير الدول²⁶.

منع بيع الرقيق: دعا ناصر الدين الشعوب للتحرر من عبادة العباد، وشرع في إرسال رسله إلى ملوك ضفة النهر للتوبة والرجوع إلى الله ووقف الظلم عن شعوبهم بشتى أنواعه ومن ذلك بيع الرقيق، وبعد أن عاد رسوله للمرة السابعة يحمل رفض ساتيكي، ملك فوتا، شرع في توجيه دعوته إلى شعوب المنطقة، محرضا إياها على الإطاحة بالملوك الظلمة وسرعان ما استجابت لندائه الشعوب وشملت الثورة ممالك فوتا و"جولف" و"كايور" و"الو" وفي كل منها عين الإمام ناصر الدين نائبا عنه، من أبناء البلد (نفسه)²⁷.

المجال الاقتصادي: وفي المجال الاقتصادي أراد ناصر الدين أن يتعامل مع الفرنسيين بمستوى من الندية، لكن "الإداري الفرنسي دي مشين رفض عرض الإمام ناصر الدين إقامة علاقات تجارية مبنية على الاحترام والمصلحة المتبادلين، وعمل بكل ما أوتي من قوة على القضاء على دولة التوبة وإمامها"²⁸.

هذه الفتوحات والتوسع التي قادها ناصر الدين وهذه الرؤية التي امتلكها أزعجت خصومه وعلى رأسهم الإدارة الفرنسية التي شرعت في عقد تحالفات مع خصومها من المغفرة والوثنيين.

خامسا: النتائج:

❖ ساهمت دعوة ناصر الدين في قيام الثورات في الممالك الوثنية السودانية: ويتضح أن الثورات التي قامت في بوندو وفوتا جالون وحركات الجهاد الإسلامي في القرن 13هـ -19م، إنما كانت امتدادا لحركة ناصر الدين و استثمارا للرصيد الإسلامي الشعبي الذي أنشأته، وخلفته وراء ظهرها، ولم يكن هذا التأثير كما يتبادر إلى ذهن غير المتبصر، تأثيرا بمجرد السماع، بل إن الحركة قد شملت هذه المناطق بالفعل وبقي فيها نفوذها الديني والإيديولوجي بعد انحسار نفوذها السياسي المباشر²⁹. بل وأكثر من ذلك فقد شارك بعض رجال الحركة بشكل مباشر في هذه الثورات يقول محمد اليدالي: "

²⁶: حركة ناصر الدين ومنزلتها من تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا، ص: 10-11.

²⁷: 9.

²⁸: نفسه، ص: 9.

²⁹: 13.

ثم انعقدت بقية من الرجال وفروا بدينهم عن المغفرة فيهم محنض ابن جب البرتلي ومحنض ابن الشيخ التاندغي، وقطعوا البحر وصاروا يجاهدون هنالك سودانا قيل إنهم ليسوا على الإسلام³⁰.

❖ استطاع ناصر الدين بفضل دعوته أن يوحد سكان حوض النهر والسنغال في دولة واحدة، من خلال رسائله إلى شعوب السودان الإفريقي، حيث كان يركز على خطاب الجماهير فيتحدث لهم بلغة يفهمونها، فكان غاية في الإقناع، وسرعان ما تلتف الجماهير من حوله، وهو ما خوله تشكيل سلطة موحدة، مرتبطة بمصالح جماهيرها في وجه القبائل المغفرية في شنقيط من جهة ومن جهة آخر لمواجهة النفوذ الفرنسي في المنطقة.

❖ كان لحركة ناصر الدين الدور البارز في البقاء على الصلات وطيدة عدة قرون بين سكان بلاد السودان والعلماء الشناقطة، مشكلة بذلك حلقة الوصل بين منطقة السودان الغربي ومشايخ الحواضر العلمية في الشمال الإفريقي: كفاس وتلمسان والزوايا الصوفية في جنوب المغرب .

❖ ومن الأمور التي دعا لها ناصر الدين إزالة الحواجز بين الحاكم والمحكومين، وهو ما لقي صدا طيبا في نفوس ساكنة حوض النهر وهو ما تجسد في دول الأئمة "فالأفارقة بطبيعتهم يتوجسون من السلطة، والصوفية راعت هذا التقليد الإفريقي العتيق الذي يتجسد في أن الزعيم الحقيقي، في نظر الأفارقة، هو ذلك الذي يتسم بالمرونة في ممارسته للحكم؛ فلا يتعسف ولا يجور، ولا يكتز الأموال إلا رجاء تفريقها على الرعية"³¹.

❖ بعد هزيمة حركة ناصر الدين على يد التحالف المغفري الفرنسي تفرغت الزوايا لنشر العلوم العربية والإسلامية و الطرق الصوفية، حيث نشرت الطرق الصوفية في عموم البلاد وفي مناطق السودان الغربي: "ولاشك أن لحركة التوبة تأثيرا قويا في قيام دولة إماميه في فوتا تور، خاصة إذا علمنا أن أكبر أئمتها هو الإمام عبد القادر قد تلقى دراسته في موريتانيا على أيدي ورثة ناصر الدين، كما يؤكد الباحثون امتداد هذا التأثير إلى فوتا جالون ، واستلهاهم مؤسسي دولتها من النموذج الموريتاني"³².

❖ برز اهتمام مشايخ الصوفية في هذه البلاد بالأوضاع في السودان الغربي، وحافظوا على تواصل جيد بمشايخها وقادتها، وتذكر المراجع أن الشيخ محمد المامي يبعث بقصيدة مطولة إلى الحاج عمر الفوتي يهنئه

³⁰: أمر الولي ناصر الدين، محمد اليدالي ص:49

³¹: (1)

<http://www.anbasahel.com>

³²: حركة الإمام ناصر الدين ومنزلتها من تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا، جمال ولد الحسن، ص:13

بانتصاراته ويسدي إليه نصائحه، كما ألف العلامة أحمد بن بدي العلوي كتابا في الذب عن دعوة الحاج عمر الفوتي وطريقته، سماه: "الدرع والمغفر في الذب عن الحاج عمر". وهكذا حافظت شنقيط على جسور التواصل قائمة مع جوارها من السودان الغربي، و التي أعادت دعوة ناصر الدين تدشينها، مجددة بذلك عهد المرابطين ليحافظ عليها العلماء الشناقطة و لتترسخ جذور هذا التواصل أكثر عن طريق الطرق الصوفية، محافظة بذلك على وحدة المذهب بين سكان المنطقة وانسجام في السلوك والممارسة. ولتشكل البلاد الشنقيطية بذلك حلقة الوصل بين شعوب الغرب الإفريقي و الحواضر العلمية والزوايا الصوفية³³ في الشمال الإفريقي.